خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٠ من رجب ١٤٣٦ هـ / ٨ من أيار ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

معاشر السادة: إن الإيمان الصحيح يجعل نفس الإنسان تَستجيب لدواعي الخير المختلفة كلما أهابت بها، فهو في السلم وفي الحرب وفي الصحة والمرض، في الأمن والروع وفي الشدة والرخاء، في كل حال يقدرها الله له يواجهها بما يفرض اليقين عليه، لا ينكس ولا يزيغ، يصبر في الضرَّاء ويشكر في السرَّاء، ويبغض المبطلين ويشجب على ضلالهم، ويحب المصلحين ويشدّ أزرهم، هبْ رجلا أعجبه دفء الفراش ساعة الفجر، وآثر لذة النوم على غيرها من الذكر وقربى، أتحسب ذلك يقدر على جهاد خشن في ميدان غليظ؟ هب رجلاً أغراه فتون الفاحشة فتلوث بها في أيام الرخاء والسعة، أتراه يطيق مرضاة الله في الانخلاع عن الدنيا لو طُلب إليه أن يَفتدي أمته بنفسه يوماً ما؟ مِن هنا تُدرك لماذا أحس النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجال قليل، وأن نسبتهم في من ترى لا تكاد تبلغ الواحد بالمائة، ولذلك قال في الحديث الصحيح: ((إنما الناس كإبل مئة، لا تجد فيها راحلة)) أجل إن الذين يعول عليهم في اقتحام الصعاب وتحطيم العقبات وإدراك الغايات، أندر إلى حد بعيد مما يفرضه حسن الظن وتوقع الخير، فالنفوس المريضة لا يمكنها أن تُقيم أحكام السماء، ولا تستطيع وهي مُخلدة إلى الأرض أن تستجيب لتعاليم الوحي، أو تستقيم مع جوه النقي والطهور، فأي مُجتمع تَنتشر فيه عرى الأخلاق وتضعف فيه مقومات النفوس

الكبيرة، هَيهات أن يُوفق إلى تأسيس دولة مكينة أو إقامة حُكم رشيد، أرأيت رَجلاً خَليعاً يُشَرّع دساتير الأدب ويُطبقها؟ أرأيت امرءاً خَوَّاراً يُشَرّع دساتير الكفاح ويُؤَجّجُها؟.

إن ينابيع الخير التي أخصبت بها الحياة وازدانت لم تنبجس من نفوس متحجرة، بل فارت بالري العذب من نفوس مفعمة بالكمال، فياضة بالبر والسكينة والجمال، عندما يَشتد الغضب ضد المجرمين والمفسدين في الأرض تجد أهل الباطل ينظرون بازدراء إلى المدافعين عن الحقوق، وأصحاب الحق بإزاء هذه العيون التي تقدح شرراً وهذه النفوس التي تتميز غيظاً لا يَزدادون إلا ثقة بما لديهم واستهانة بما يواجههم، وإنك لَتسمع إلى واحد من حملة الوحي الإلهي يُعالج جهالة الجماهير حوله، فترى آية من آيات الله في الصرامة والرُّسوخ والتحدي، كأن عِناد القول معه عبث يلعبون في أصول طود ذاهب في الجوزاء، حيث وصف القرآن دعوة نوح عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] إنه يَقول لهم: إن ضايقكم دعائي إلى الله فما أبالي بكم، ومهما اشتد سُخطكم فلن أحذر جمعكم، وأتهيب عقبى النزاع معكم، فإني أستند إلى الله وأطمئن إلى تأييده، وأعرف أن ما تعلقتم به من دون الله أعجز من أن يَنالي بضر، فأجهدوا جهدكم واجمعوا كيدكم، ثم اصنعوا ما شئتم، وعجلوا بما تَقدرون على فعله، فلا ضَرورة لتريث أو إمهال.

ويشبه نوحاً عليه السلام في هذه المقالة هود عليه السلام، عندما صاح بقومه قائلاً: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: ٥٤-٥٦] هذا التوكل -يا سادة- ضرب من القوة التي يُؤيد الله بها ويُزود الله بها المصلحين، كما يُزود الصحيح بالمناعة بين المرضى، فيعتلون وينجو ويقعدون ويسير، والتوكل هنا أمارة من أمارات القدرة على الحياة والأمل بالمستقبل، إن ضعفت الطاقة واكفهرَّ الجو فهو قرين الصلابة والتحدي، وسر الرباط والكفاح.

إن التوكل على الله يَبعث الجُرأة على الباطل، فلن يكون أبداً سبب ضيعة في الدنيا أو هوان بين أهلها، وقد سمعت نوحاً وهوداً كيف يُحفزهما التوكل إلى أن يقولا لقومهما: هاتوا ما عندكم فلن نحفل به، إلا أن هناك عنصراً آخر يُقابل هذا التحدي أو يُعين عليه، هو تجرُّد الداعية واستغناؤه المطلق عن البشر قاطبة، فَمِن التناقض المثير أن تَحرص على تملُّك الفجار في الوقت الذي تكلف فيه بردهم عن غوايتهم وشفائهم

من جهالتهم، وهذا المعنى أكده نوح عليه السلام لقومه بقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] صدق من قال: أزلَّ الحرص أعناق الرجال.

إننا نتعلم –يا سادة– مِن مَواقف هؤلاء الأنبياء أن العاطفة الأولى تجاه شيء ما تُحدد إلى أمد بعيد موقف الإنسان وسلوكه معه، فإذا فُوجئ الإنسان بروع فثبت له ولم تأخذه دهشة المباغة كان حرياً أن ينجح في مقاومته وأن تكون له العقبى، وإن طالت مراحل الصراع، أما إذا انتباه الفزع وتزلزلت قَدمه، فهيهات أن يتماسك، وإذا عاد إليه صوابه بعدُ فإنما فَاته مِن خير قلما يعود إليه، هذا الثبات أولاً هو بذرة النصر آخراً، لذلك قال النبي ﷺ: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)) وضبط النفس حتى لا تطيش بإزاء حادث ما ليس بالأمر الهين، إنه يَحتاج إلى الفكر السديد والعزم الحديد.

إننا تكره الآلام ونمج مذاقها المرير، ولكن شاء الله أن يجعل من أكثر الآلام نفعاً خالصاً، ومن أكثر اللذائذ ضُراً محضاً، ولا يزال الأطباء يَصفون الأدوية المريرة لكفاح الأمراض والحسم آذاها، ولا تزال المصائب والمحن في حياة الأفراد والشعوب مصدر دروس بالغة الأثر في التربية والتعليم، والرجال الكبار والعظماء كثيراً مَا تَظل موهبهم مَطوية في أستار العزلة البعيدة، حتى تَقع حادثة كبيرة، فيكون موقفهم منها بداية تَكشفهم للناس، كما يتكشف البدر بعد انقشاع الغيوم، فلما وقعت أحداث حُروب الردة، تَألقت في جبين الرجل الكبير أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشعة شتى من فضل الثبات والإقدام والجرأة، تسابقت مع ما عُرف عنه قبلاً من فضائل الأناة والحلم والوقار، فزادته فضلاً على فضل، وفي هذا الموقف نُحاول متواضعين تصوير شيء من عَمل الإيمان الكبير تجاه الحوادث الكثيرة، لم يكد الرسول صلى الله عليه وسلم يَصعد إلى الرفيق الأعلى حتى انتقض حَبل العرب، فارتدوا عن الإسلام، وظنوا أن أرض الجزيرة ستعود كما كانت كرة أخرى، مسرحاً لمآسي الجاهلية الأولى ومخازيها، وشعر السابقون الأولون بخطورة الأمر، ورأوا أنفسهم في دار الهجرة، مُهددين بعصابات الأعراب الغائرين وجُيوش مانعي الزكاة، والشقة بعيدة بينهم وبين جيش أسامة الذي سار قُدماً إلى مشارف الشام تنفيذاً لوصية النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وتجمع المرتدون من قبائل عبس وذبيان وأسد وكنانة، وكُلما آذنت الشمس بالمغيب اقتربت جموعهم من مداخل البلد المهدد بُغية اقتحامه على أهله والقضاء على الإسلام بعد ذلك، فلما أحس أبو بكر رضي الله عنه منهم الغدر جمع حوله بقايا المسلمين، فقد ضمتهم جميعاً جدران المسجد النبوي، واجتمعوا إلى أبي بكر رضي الله عنه يَشرح خطة الدفاع، ويرسم لكل منهم واجبه الذي يَقوم به أو يموت دونه،

وَوُزِّع أفراد هذا الجيش الصغير على ثغرات المدينة ومَظَانِّ الهجوم، وأقبل الليل وثبت المسلمون في أماكنهم، وما هي إلا ساعات حتى نشب القتال، لقد تحركت جيوش الأعراب، وهذه ذي سهام المسلمين تخترق عماية الليل، وتتابعت أدوار الصراع طوال الليل، بين الحق والباطل، بين المدافع والمعتدي، فما طلعت الشمس حتى تنزل نصر الله على جنده، ونجت المدينة وفر المرتدون.

نتعلم من هذا الموقف –يا سادة– أن هؤلاء النفر القلائل عندما ربا إيمانهم ساوت فعالهم جيشاً جراراً، احفظها، نتعلم من هذا الموقف أن هؤلاء النفر القلائل عندما ربا إيمانهم ساوت فعالهم جيشاً جراراً، وإنك إذا نَظرت –أيها السوري– إلى مدينة دمشق، كيف تُحاصرها جيوش الأعراب، هذا الموقف يُشبه تماماً حِصار المدينة المنورة، دمشق اليوم تُحاصر من جيوش آل سعود الأعراب، وقديماً حُوصرت المدينة المنورة بجيوش المرتدين عن الإسلام، ولكن هذا الأمر الذي فَعله أبو بكر الصديق ﷺ والذي جعله المسلمون معه دليل واضح على أن الأمة عندما تتعرض لهجمة عدوانية غادرة ماكرة مُعدية ينبغي عليها أن تقف جميعاً في صف واحد، وأن لا تسمح للمرتزقة وأن لا تسمح للعدوان أن يَطال الأبرياء، وأن يُعكر صفو أمنهم وحياتهم.

ونحن اليوم في هذه الأيام العصيبة نقف فيها بكل جرأة، عندما نجد جيشنا المغوار يُقاتل في جبال القلمون، عندما نجد جيشنا المغوار المناضل الأبي يُقاتل في إدلب، يرد يد الغدر عن هذا الوطن، يرد يد الإجرام، عندما نرى هذا الجيش المعطاء على كل شبر من أرض هذا الوطن الحبيب، يُقاتل هنا وهناك ليحمي الحقوق ويصون الدماء ويَحفظ الأبرياء مِن القتل والدمار، وإننا في هذه الأيام ونحن نستظل بعيد الشهداء هذا العيد العظيم الذي قدم فيه أسلافنا في الماضي دمائهم لكي تبقى سورية شامخة أبية، واليوم شهداؤنا في الساحل الحبيب في درعا الحبيبة، في دمشق وريفها، في حمص وحماة، في كل مكان من أرض هذا الوطن، يُقدمون أرواحهم دفاعاً عن هذا الوطن، مُحاربين جيوش الأعراب التي يُمولها آل سعود وأردوغان، وإننا عندما استمعنا إلى كلمات القائد المقاوم بشار الأسد، حينما خاطب أبناء الشهداء، وإننا نتعجب وحقاً تعجبنا، كيف يخطب السيد الرئيس في العراء، والله نَخاف عليه أكثر ما نخاف على أرواحنا وعيوننا، لأنه صمام الأمان، لأنه يَحفظ دماء السوريين، لأنه يَحفظ المقاومة وشرف المقاومة، لكنها رسالة من الأسد إلى النعاج، ماذا قال لأبناء الشهداء: إن الوطنية ينبغي أن تكون مقرونة بالشجاعة، هنا بيت القصيد، إنسان وطني ويخاف من كلمة حق لا يتجانس هذا الأمر مع ذاك، ولا يَستقيم هذا مع

ذاك، لا بد من تجانس بين الأمرين، إنسان يدعي الوطنية ويخاف، إنسان يدعي أنه سوري ويعرض عن نصرة وطنه، لا يستقيم هذا مع ذاك، وقال لأبناء الشهداء: كما فشلت الحرب التضليلية الإعلامية في البداية، ستفشل في النهاية، وكم عندما نسمع إلى قنواتهم القذرة مع الأسف، نحن نستمع إليها كما قال الشاعر:

تعلمـــت الشـــر لا للشـــر ولكـــــــن لتوقيـــــــه

فمـــن لا يعـــرف الشـــر مـــن النـــاس يقـــع فيـــه

فعندما نستمع إلى قنواتهم يكذبون ويروجون ويمكرون بدماء السوريين، نُدرك أن الحرب الإعلامية هي حرب خطيرة علينا لأمرين اثنين: الأول: لأنهم يَرفعون من معنويات المرتزقة، من معنويات الصعاليك، الذين دنسوا أرضنا، والثاني: لأن بَعض المغفلين من السوريين يُصدقهم، أما نحن لا نقلق –كما قال السيد الرئيس– أما نحن لا نقلق ولا نخاف على هذا الوطن، ربما نشعر بالقلق وهذا أمر طبيعي، لكننا لا نخاف.

أما نحن –أيها السوريين اليوم– أمام هذه الحرب العدوانية الماكرة، أمام هذا التضليل الإعلامي الغادر، أمام كذب الكذابين ومكر الماكرين وحقد الحاقدين، وأمام الذين يزرعون بذور الطائفية في سورية وفي اليمن وفي العراق، وفي غيرها، يَجب أن نكون حذرين ويقظين، إذا استمعت إلى قناة الوصال –قَبَّحهم الله– والله أنا أبكي عندما أستمع إلى هذه القناة، لماذا؟ لأنها تكذب على الله ورسوله أولاً، يُحرفون القران كما يريدون، يؤولون الأحاديث النبوية كما يُريدون، يُجَيِّشون بعواطف الناس لكي يَقتل العرب بعضهم بعضاً بصور لَيست لها حقائق، ووقائع ليست لها حقائق، كما قتلوا من دماء السوريين، كم قتلوا من دماء اليمنيين، كم قتلوا من دماء العراقيين، تحت ذريعة هذا سني وهذا شيعي، وتركوا اليهود يَسرحون ويَمرحون في أرض فلسطين الحبيبة، في أرض القدس، في أرض الإسراء والمعراج، ما رأينا على الإطلاق أبداً في قنوات التضليل والإعلام الكاذب والدجال كلمة واحدة تحث العرب والمسلمين إلى تحرير الأقصى الشريف، بل كل دعواتهم وكل كلامهم من أجل قتل العرب ودمار بيوتهم وبلدانهم فوق رؤوسهم، متى نصحو يا سادة؟ متى نستيقظ يا سوريون؟ متى نصحو؟ عندما نَجد السكين قد وقعت على أعناقنا؟ لا، هذا ليس من عمل العقلاء، لا ينبغي بنا أن يصبح حالنا كحال المعتصم، عندما قالوا له: يا معتصم

بالله، إن هولاكو يجتاح البلاد والعباد، وهو قريب منك، قال: لا لن يصل، وما هي إلا أيام ووصل هولاكو، ووضع المعتصم بالله في كيس، ودهسته الدواب بأقدامها حتى مات، والتاريخ أكبر معلم وأكبر شاهد وأعظم درس، يستطيع الإنسان أن يتعلمه من خلال التاريخ، فالتاريخ صادق لا يكذب، والتاريخ حقائق ووقائع، فنحن –يا سادة– في هذه الأيام العصيبة التي يتكالب فيها المرتزقة على أبواب ومشارف مدينة دمشق، لَكنهم خَسئوا أن يدخلوا، منذ أربعة سنوات حاولتم يا قذرة، حاولتم أن تدخلوا مدينة دمشق لكنكم فشلتم، واليوم ستفشلون، دخلوا من جهة ركن الدين بلباس الجيش العربي السوري، دخلوا مموهين، انظروا إلى جبنهم، انظروا إلى غدرهم، دخلوا بلباس الجيش العربي السوري، حتى يَقتلوا ويُجرموا، لكن الجيش كان لهم بالمرصاد، فمدينة دمشق –يا سادة– لا خوف عليها على الإطلاق أبداً، لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تبقى الشام بلد أمن وأمان)) لكن واجبك –أيها السوري– أمام الله وأمام التاريخ أن تقف مدافعاً عن هذه المدينة العريقة العظيمة، من أقدم مدن التاريخ، إلى جانب الجيش العربي السوري، وإلا –لا سمح الله ولا قدر– سيدخل السعودي المرتزق، والأردني المعتوه، والشيشاني المجنون، وسيقطعون الرؤوس والأعناق، وسيحرقون الأجساد، كما فعلوا في عدرا العمالية، كما فعلوا في مخيم اليرموك الحبيب لأهلنا الفلسطينيين الأشاوس، وسيقتلون كل من يجدونه في طريقهم، لأنهم يقولون عنواناً واحداً مَن لم يكن معنا فهو ضدنا، أعلمت ذلك –أيها السوري– مَن لم يكن معنا فهو ضدنا، لكننا نقول لهم: نحن مع الله، في تعاليمه، في تشاريعه، مع النبي صلى الله عليه وسلم، في أخلاقه، في سيرته العطرة، في معاملته، في حفظه للأعراض والدماء والأموال، مع القيم والأخلاق، أما كل مَن يُحاول أن يدنس دمشق عرين الأسود، وأن يدنس سورية ستجدون الشرفاء والعظماء في مقدمة الصفوف، يُقاتلونكم بشراسة، لا يخافون سلاحكم الجبان، ولا موقفكم المرتزق، لأننا أصحاب حق، أصحاب قضية، أصحاب مصير ووجود، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانـ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تُعذبنا فإنك علينا قدير، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.